ورقة عمل بعنوان

دولة التنمية وبناء الإنسان

رؤية من منظور مهنة الخدمة الاجتماعية

إعداد

أ.د/ محمد محمود مصطفى حميد

أستاذ خدمة الجماعة

عميد المعهد العالي للخدمة الاجتماعية سابقاً

"إن فلاسفة المجتمع دائمًا يطمعون في حل مشكلات المجتمع
عن طريق التأمل دون النزول إلى واقع المجتمع"

دولة التنمية وبناء الإنسان
رؤية من منظور مهنة الخدمة الاجتماعية

مقدمة:

الدولة هي راعية المجتمع وحارسة لقيمه وصانعة لسياساته، وهي تعمل دائمًا على الوفاء بمسئولياتها تجاه مواطنيها، مسئولية من شأنها الارتقاء بنوعية حياتهم. إنه الأمر الذي يمثل جوهر ووظيفة الدولة.

ولتحقيق هذه الوظيفة تبادر الدولة بتبني نماذج تنموية قادرة على الاستجابة للمطالب الأساسية لمواطنيها، كما تبادر بإعداد الكوادر المؤهلة القادرة على تصميم أنشطة وبرامج من شأنها مواجهة التحديات وكسر حلقات التخلف وتوفير خدمات الرعاية الشاملة في كافة مجالات المجتمع وعلى مختلف مناطقه.

والخدمة الاجتماعية باعتبارها من مهن المجتمع يتوقع أن يكون لها دورًا متميزًا في المساهمة لتحقيق أهداف الدولة التنموية. وهذا ما تهدف إليه هذه المقالة عرض تصور للدور المقترح لمهنة الخدمة الاجتماعية في تحقيق مفهوم وأهداف الدولة التنموية.

"إن محور الحياة الإنسانية هي إرادة الإنسان وهي إرادة
لم ولن يحققها العلم، إنها إرادة تشير إلى طريق الحركة"

دولة التنمية: التنمية من أسفل

دولة التنمية مفهوم مستقر في التراث العلمي ارتباط بأفكار• واسهامات علماء المجتمع والمتخصصين في العلوم الإنسانية، وهي أفكار توضح هذا المفهوم من حيث ماهيته ودوره في بناء الدولة الجديدة والأساليب المحققة لهذا المفهوم••.

وما يهمني في هذه المقالة هو دولة التنمية في مصر ودورها في التعامل مع تحديات مرحلة إعادة البناء والانتقال بالمجتمع إلى نموذج أكثر تقدمًا بالتركيز على إنسان هذا المجتمع وإعداده وإطلاق طاقاته واستثمارها.

ودولة التنمية في مصر نموذج تنموي أكثر تقدمًا يوصف بالنموذج الوطني للتنمية لأنه يعتمد على سيرة وطنية تفصيلية للمجتمع المستهدف، ويمثل حركة إصلاح وتطوير شاملة لأحوال الإنسان، يستهدف حمايته وحماية بيئته التي يعيش فيها، ويتعامل مع مشاكله داخل بيئته من خلال مشاركته الواعية، مشاركة تنمي فيه روح المسئولية والانتماء الوطني.

والدولة مسئولة عن توفير مقومات هذه المشاركة وأفضل الظروف الممكنة لتحقيقها وإحداث نتائجها.

إنها تنمية وطنية تبدأ من أسفل• وهي مهمة تستطيع مهنة الخدمة الاجتماعية المساهمة فيها تخطيطًا وتنفيذًا وتقييمًا، بما تملكه من كوادر مؤهلة قادرة على استحداث مشاركة المواطنين في كافة العواصم

• راجع أفكار عالم السياسة الأمريكي كالمرزجونسون.

•• السيد يس، الدولة التنموية رؤية نقدية للمشكلات وسياسات بديلة، المركز العربي للبحوث والدراسات، القاهرة، ٢٠١٦.

• راجع أفكار كل من تايلور وستور
Development from above or below? Dialectics of regional planning in developing countries.

والأقاليم والقرى والنجوع، تأخذ بآرائهم وتهتم بدراسة أحوالهم و مشكلاتهم وتحقق مشاركتهم في جماعات تنموية تحقق أهداف التنمية الوطنية.

"إن الإنسان ليس مادة خالصة نحولها بالتكنولوجيا إلى مادة أغلى"

المدخل الجماعي للخدمة الاجتماعية ونموذج التنمية من أسفل :

مهنة الخدمة الاجتماعية، مهنة تحتاج دومًا إلى الفكر التنظيمي الموجهة لبرامج الرعاية الاجتماعية وإلى ممارسين يمتلكون الفكر المهني الذي يتمشى مع الفكر التنظيمي للمهنة. أرى أنه فكر يتمشى مع فكر نموذج التنمية من أسفل، أنه فكر يهتم بالإنسان وحياته ومشكلاته والبيئة التي يعيش فيها، فكر له ترتيبات مؤسسية ومجالات وأساليب ونماذج عمل، والعديد من المداخل التي توفر المساعدة للإنسان وتحقق له التكيف مع ظروف وأوضاع المجتمع إذا كانت ملائمة أو تعمل على التخفيف من حدتها إذا كانت غير ملائمة ومن بين هذه المداخل المدخل الجماعي وهو مدخل يؤكد أهمية الإنسان وأهمية علاقاته ودورها في تشكيل شخصيته، ويستخدم هذه العلاقات لإحداث تأثيرات خاصة بالإنسان وبالبيئة الاجتماعية له.

وتبرز أهمية هذا المدخل باعتباره مدخل يعمل على جميع فئات الناس وينحاز إلى الضعفاء منهم، كما يهتم بإحداث تغييرات مقصودة طبقاً لخصوصية واحتياجات كل مجتمع، وهو يمثل استكمال مسئولة الدولة، فإذا كانت مسئولية الدولة قائمة على أساس التزامها بواجبات تجاه مواطنيها، فإنه يعمل على أساس نفس هذه الفلسفة، فلسفة الاختيار بدرجات متفاوتة بين الفرد كهدف نهائي والمجتمع كهدف نهائي. قد يبدو للبعض أنها فلسفة وإن كانت معنى مجرد إلا أن أصلها ثابت في تربة المجتمع الإنساني.

فلسفة تقوم حقائقها على إدراك الوضع الخاص بالفرد والمجتمع والبحث عن ما يلائم هذا الوضع الخاص سواء كان هذا الملائم ما يعتقده الناس والمجتمع أو مما لم يأخذ به الناس والمجتمع بعد.

"أن الحقيقة العلمية وحدها ليست هي سبيل العمل أمام الإنسان أنها أيضًا لن تكون محور الحياة الإنسانية"

جماعات تمويل التنموية من أسفل:

جماعات لها بصمة تنموية تستهدف مشاركة أفراد المجتمع في أمور حياتهم كما تستهدف تحقيق تنمية ناجحة تستجيب لحاجات الناس وتنطلق من مشاركتهم وتلتزم بخصوصية كل مجتمع وتراثه الوطني.

وتقوم الممارسة المهنية مع هذه الجماعات على أساس السيرة التنموية التفصيلية لمجتمع الممارسة المستهدف، واستخدام جماعات المجتمع الغير رسمية لتحقيق أهداف هذه السيرة التي تحقق خصوصية كل مجتمع والانتقال به إلى وضع أفضل يخالف ما كان عليه الحال سابقًا.

وهو جماعات لها ضرورة مجتمعية وتحقق مطلبًا وظيفيًا له أهمية، وبالتالي، ينظر إليها على أنها جماعات تمثل الوسط الاجتماعي الصحي لنمو أفرادها وإعدادهم للمشاركة النشطة الواعية مشاركة تسهم في التخفيف من حدة التأثيرات المعادية لصالح المجتمع والموجودة باستمرار في البيئة الاجتماعية، وتحقق معدل من التضامن الاجتماعي بين أفرادها.

ولذلك، ينبغي أن يتوافر لهذه الجماعات عمق المعرفة ودقائق الشيء الذي تسعى إلى إنجازه.

ولهذه الجماعات العديد من المسميات التي يتوافر لها الإطار النظري والعملي في مؤلفات الخدمة الاجتماعية.

أنها في النهاية جماعات تتعامل مع التحولات الاجتماعية والنتائج المترتبة عليها، ويتحقق معناها من خلال إبراز الصفة الفردية لها والحفاظ على بؤرة اهتمامها، والعمل تجاه الموضوعات التي تمثل مهمتها مع عدم إغفال الحياة خارجها والبيئة الفيزيقية والاجتماعية المحيطة بها.

"إن جذور بناء الإنسان لا تكمن في النظريات والأفكار بل في السلوك والممارسة وما تضفيانه من ضروب الاشباع وإن لم تمتد هذه الجذور بعمق في تربة الشخصية الإنسانية فإنه يمكن تدميرها بسهولة"

رؤية استرشادية للعمل مع جماعات تمويل التنمية من أسفل:

تنطلق هذه الرؤية من بعض الموجهات والافتراضات النظرية ومن نتائج بعض الدراسات التجريبية التي جرت على جماعات تم تكوينها أبرزت نتائجها أساليب تحقيق فوائدها الوظيفية.

وهذه الجماعات ينظر إليها على أنها جماعات غير رسمية تمتلك القدرة على إحداث تأثيراتها، وتمثل رسالة اجتماعية تؤسس لعمليات الهوية الاجتماعية والوطنية لأفرادها، وتعمل في محيط بيئي معقد. ويمارس العمل معها ممارسون مهنيون مسئولون أمام المجتمع، كما يمكن الاستعانة في أعمالها بالخبراء المتخصصين الوظيفين أو المحليين أو ذوي الشأن.

ركائز العمل:

١. الدعم البيئي والمؤسسي.
٢. هيئة إشرافية لمتابعة تنفيذ أعمال الجماعة ومناقشة الصعوبات القائمة في العمل إن وجدت أو المتوقعة فى مهمة التنفيذ.
٣. لقاءات (اجتماعات) جماعية لمناقشة موضوعات ذات أهمية.
٤. تحليل محتوى هذه الاجتماعات من جانب الممارسين وهيئة الإشراف.
٥. إمكانية إدخال التعديلات اللازمة على إعمال هذه الجماعات.
٦. أنشطة جماعية تستهدف دعم المحتوى الداخلي والخارجي للجماعة وأخرى موجهة للحفاظ على حيوية الجماعة.

الأهداف:

١. تعزيز دور الدولة في تحقيق مفهوم التنمية من أسفل.
٢. إيجاد دور لمختلف الجماعات الغير رسميةفي تحقيق تنمية ناجحة تستجيب لخصوصية كل مجتمع محلي.
٣. بناء القدرات البشرية من الواقع الاجتماعي المصري.
٤. دمج المواطن في حياة مجتمعه وقضاياه.
٥. الوصول إلى نموذج للممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية مع جماعات المجتمع المحلي يهدف إلى تحقيق نموذج دولة التنمية.

أعضاء هذه الجماعات:

مواطني المجتمع المستهدف، يمتلكون قدرات ويحملون النزعة الدافعة للعضوية في هذه الجماعات.

<u>ويتحدد أدوارهم في الأدوار التالية:</u>

- أدوار بناء والمحافظة على كيان الجماعة.
- أدوار تنفيذ مهمة الجماعة.

- أدوار فردية.

أساليب العمل:

١. أساليب تعمل على تعزيز فعالية الجماعة وأعضائها.
٢. أساليب تركز اهتمام الأعضاء على ما هو عام أكثر مما هو خاص.
٣. أساليب تقلل من مركزية الممارس المهني مع الجماعة أثناء إدارته لاجتماعاتها.

التكنيكات المستخدمة:

١. العصف الذهني.
٢. الجماعة الاسمية.
٣. المناقشة الجماعية.
٤. المساعدة الذاتية.
٥. التوجيه الذاتي.
٦. العمل الاجتماعي.

مراحل العمل:

١. الإعداد للجماعة ولبدء العمل.
٢. التدخل في الجماعة وما بعدها.
٣. الإنهاء والتحول.

جلسات الجماعة:

ستة عشر جلسة بواقع جلسة كل أسبوع مدة كل جلسة ساعتين تقريبًا. هذا بخلاف المقابلات التمهيدية أثناء الإعداد لتكوين الجماعة.

الجلسة الأولى والثانية:

بناء الجماعة وبناء علاقات العمل،والاتفاق على أساليب العمل المستخدمة، ووضع البدايات الأولى لإعداد الجماعة للعمل وإعداد الأعضاء لبدء العمل.

الجلسة الثالثة حتى السابعة:

تدريب الأعضاء على أساليب التفكير الموضوعي ودراسة أمور مجتمعهم وفهم قضاياه مع تزويد الأعضاء بأفكار جديدة واتجاهات جديدة.

الجلسة الثامنة حتى الحادية عشر :

مرور الأعضاء بخبرات جماعية متمثلة في التحليل الموقفي لقضايا المجتمع الذي يعيشون فيه وضرب الأمثلة لبعض هذه القضايا وتحقيق المشاركة لجميع أعضاء الجماعة بالرأي والتفسير والتشاور والتحليل للدور المطلوب من الدولة والدور المتوقع من المواطنين تجاه الدولة التي يعيشون فيها.

الجلسة الثانية عشر حتى الرابعة عشر :

تعلم الأعضاء الأساليب الصحيحة لتناول قضايا الدولة ومجتمعهم المحلي والوصول إلى فهمها الفهم الصحيح، ودورهم خارج الجماعة.

الجلسة الخامسة عشر والسادسة عشر :

مراجعة الخبرات المحققة من الحياة الجماعية للأعضاء داخل الجماعة وفهم تطور ثقافة الأعضاء مع إعداد الأعضاء لخبرة التقييم والاحتفاظ بالنتائج لما بعد الجماعة.

ويجب أن تنتهي جلسات هذه الجماعة حيث يمتلك الأعضاء المهارات المطلوبة (مهارات التفاعل الشخصي – المهارات الاجتماعية – التفكير المنطقي للأمور وكيفية اتخاذ القرار الإبداعي – التدريب على

استخدام الذات وتوجيهها وتعزيز وظائفها – التوحد مع الأفكار الجديدة واكتساب البصيرة الكافية للحياة السليمة وأساليب التعامل مع هذا الحياة.

ولزيادة فعالية هذه الجلسات فإن هناك منطقتين للعمل تميز مسئوليات القائمين بالعمل مع هذه الجماعات الاولى، مساعدة الفرد والجماعة على التزود بالفعالية لبعضهم البعض، والثانية، مساعدة الجماعة كتنظيم لتصبح أكثر تطويرًا فيما يتعلق بأساليبها في العمل وفى استدعاء طاقتها الكامنة كقوة دافعة لإنجاز أعمالها.

"حين يتوقف العقل عن التساؤل يتوقف العمل"

خاتمة:

إن النظرة الصحيحة للخدمة الاجتماعية في مصر ينبغي أن تنطلق من المعنى المقصود من ممارستها، ومن مدى قدرتها على تحقيق وظيفتها، وهي وظيفة تحقق لها الالتحام بالناس. وهو معنى يمكن من خلاله الوصول إلى التفسيرات التي يوصف بها المهنة في مصر. أنها تفسيرات تحمل في مضمونها فكرة أن الخدمة الاجتماعية مهنة غربية ويتم التعامل معها تاريخيًا باعتبارها نصوصًا غربية. فما معنى لمهنة سارت بممارسيها إلى طريق الاجتهاد والتلقين للمعرفة الجاهزة وما معنى لمهنة تتقوقع أو تختزل ممارستها حول موضوع واحد وهو الموضوع الذي بدأت به، وما معنى لمهنة يتم التنازع حول معناها حتى اليوم، وما معنى لفكرة لا يمكن تحويلها إلى عمل، وما معنى لعمل لا تتوافر له المعرفة، وما فائدة المعرفة إذا كانت تحتاج إلى المهارة، وما قيمة المهارة إذا لم يتحقق لها حالة الإنجاز المتميز.

إنه الشيء الذي جعل الجهد المبذول لممارسة المهنة في مصر أفضى نتائج لا تعبر عن مكاسب.

فالخدمة الاجتماعية في مصر لم تكسب شيئًا ولم تخسر شيئًا. لم تكسب لأنها لا تملك أجندة وطنية لها رؤية شاملة تتعامل مع قضايا البناء والتطوير للمجتمع، ولم تساهم في الحراك الاجتماعي داخل المجتمع واكتفت بتقديم حلول لمشاكل المجتمع وتشخيص سلبياته الاجتماعية دون التدخل لأحداث التغيير الحقيقي. وكيف تمتلك رؤية أجندة وطنية لها رؤية شاملة وهي تفتقد القيادة الموجهة لحركتها داخل مجالات الممارسة المهنية.

ولم تخسر شيئًا لأنها مازالت تمارس داخل المجتمع بأساليب تقليدية وفق رؤية تقليدية.

أنه ينبغي أن يتوافر للخدمة الاجتماعية في ممارستها داخل المجتمع المصري كشف حساب اجتماعي وأن يتوافر لكشف الحساب الاجتماعي هذا الميزان المعتدل الذي يضع المعايير الصادقة ليس بغرض الحصول على المعلومات والاحصاءات فقط ولكن أيضًا بغرض استخدامه للمراجعة الكاشفة للخدمة الاجتماعية في مصر بحاسة اجتماعية واستبصار اجتماعي.

أنه الشيء الذي يمكن الخدمة الاجتماعية من توافق الدور الذي تمارسه مع الدور المتوقع منها. كما أنه الشيء الذي إذا لم يتوافر سيجعل الخدمة الاجتماعية في مصر فكرة شديدة التعقيد، وسيجعل العمل بها خالي من الجهد في ظاهرة وسيزيد من انفصالها عن الناس ويختزل دورها كما هو الآن في عمليات إدارية اشراقية وعمليات الترويح وشغل وقت الفراغ.